" فتحسسوا من يوسف وأخيه " فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما . وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة " فلما أحس عيسى منهم الكفر " آل عمران : 52 ، ومن الجس وهو الطلب . ومنه قالوا لمشاعر الإنسان : الحواس والجواس " من روح ا " من فرجه وتنفيسه . وقرأ الحسن وقتادة : من روح ا بالضم : أي من رحمته التي يحيا بها العباد .

" فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن ا يجزي المتصدقين " .

" الضر " الهزال من الشدة والجوع " مزجاة " مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل : كانت من متاع الأعراب صوفا وسمنا . وقيل : الصنوبر وحبة الخضراء وقيل : سويق المقل والأقط . وقيل : دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة " فأف لنا الكيل " الذي هو حقنا " وتصدق علينا " وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا . وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع " وتصدق علينا " أراد أنها كانت حلالا لهم . والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه . وقوله : " إن ا يجزي المتصدقين " شاهد لذلك لذكر ا وجزائه والصدقة العطية التي تبتغي بها المثوبة من ا ومنه قول : الحسن لمن سمعه يقول : اللهم تصدق علي : إن ا تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل : اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني .

" قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون " .

" " قال هل علمتم " أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال : هل علمتم قبح " ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون " لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني : هل علمتم قبحه فتبتم إلى ا منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ؟ إيثارا لحق ا على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فا أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها وا حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها . وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين

. وقيل : معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة . روي أنهم لما قالوا : مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه : ارفضت عيناه ثم قال هذا القول . وقيل : أدوا إليه كتاب يعقوب : من يعقوب إسرائيل ا بن إسحاق ذبيح ا بن إبراهيم خليل ا إلى عزيز مصر . أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء : أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه ا وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه ا . وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن كان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا : إنه سرق وأنك حبسته ذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام . فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب : اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا .

فإن قلت : ما فعلهم بأخيه ؟ قلت : تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى